على السفود

وللسَّفُّود نارٌ لو تَلَمَّتْ ... بِجَاحِمِهَا حَدِيداً ظَنَّ شَحْمَا
ويَشْوِى الصَّخْرَ يَنْثُرُ كه رُمَاداً ... فكيف وقدر ميتُك فيه لحمَا؟

العقاد اللص

فى ٢٨ من اغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) صدرت جريدة الحال الاسبوعية فى القاهرة وفيها مقال عنوانه « لو ...! » ـ تأثيرها فى تاريخ العالم ـ وفى ٢ من سبتمبر ـ بعد أربعة أيام ـ صدرت مجلة الجديد مفتتحة بمقال هذا عنوانه : لو ـ للكاتب القدير الاستاذ عباس محمود العقاد ! ! ! ! وكلتا المقالتين مترجمة عن الاستاذ « هيرتشو » مدرس التاريخ بكلية الملك فى جامعة لندن نقلا عن مجلة الاوتلاين الانجليزية .

غير أن اللص الجبار ! ! ! زعم الشركة فى علم استاذ التاريخ فساق الكتابة فى اسلوب يوهم القارىء انه هو صاحب البحث ومخترع العنوان وانه لم يأخذ من المؤرخ الا ما يأخذ من « يفك قرشين » يعطى قطعة هى هما سواء فما أخذ الا بقدر ما أعطى وكان ذا مال فى قرشيه ! ! ! ولم يكن لصا . وهكذا يزيد العقاد على لصوص الأدب والكتابة بما فيه من هذه الوقاحة العامية الثقيلة التى هى سلاحه فى كل ميادينه. وليس هذا بعجيب فان مثل العقاد حشرات وحيوانات سلحتها الطبيعة فى ميدان التنازع باسلحة من هذا الباب بعضها وقاحة من أمعائها . . . . كالظربان (على وزن القطران) وهو دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح كثيرة الف . . . و ؟ والحبارى وهى تحارب الصقر اذا قرب منها بوقاحة (من الباطن) . . .

وكل ما يكتبه العقاد فهذه سبيله فيه كأن اللغة الانجليزية عنده ليست لغة ولكنها . ولكنها مفاتيح كتب وآلات سرقة . ولسنا ندرى ما الذي يضر هذا المغرور لو صدق الناس عن نفسه وقال فيما يترجمه إنه يترجمه وفيما ينقله انه ينقله ؟ إنه ان كان يريد الفائدة للقراء فالفائدة أن ينقل لهم نقلا صريحا بأمانة لا غش فيها ولا تخليط ، وان كان يريد الفائدة لنفسه ففائدة نفسه ان لا يعرف احد انه لص كتب فوجب ان ينقل نقلا صريحا بأمانة، لان آلافا من الناس يعرفون مايسرقه ويدعيه . ولكن هناك عاملين يفسدان على العقاد. احدهما غروره فيأبى الا أن يجعل لنفسه شأنا فيسرق ويدعى . والثانى غفلة قرائه وهم من السواد الجاهل أو النصف جاهل كالذين هتفوا له فى بعض اجتماعات الوفد المصرى وقد ذكر تعطيل مجلة الممثلة الشهيرة روزاليوسف وقام العقاد ينادى لتسقط جريدة الاهرام فهتفوا « تحيا روزا اليوسف تحيا العقاد ! ! ! » اى أتبعوه بروزا ووضعوا له علامة تأنيث .

إن كلا العاملين متمم للآخر كما ترى فاذا أضفت اليهما لؤم الغريزة كما عرفت من قبل ـ خرج لك العقاد . وإن اخف رذائله ان يكون لص كتب وهو لو استطاع ان يسرق مخ فيلسوف أو كاتب أو شاعر من جمجمته لسرقه ليكون جبار الذهن بشهادة أعمال المخ لا بشهادة أمثال من يقولون (تحيا العقاد)

وهنا استطرادا لا بد منه فان أديبا فاضلا ممن يوفون اللغتين الفرنسية والانجليزية قال لنا: آمنا ان العقاد لا أهمية له شاعرا ولا أديبا وأن (موبليات) الغرفتين عنده موبليات

أصحابها . . . قال ولكن العقاد كاتب سياسى لايستغنى الوفد عنه ،وهذه هى أهميته، وهذه هى شهرته .

قلنا فاما اذا انتهينا الى هذا فاننا كنا فى غفلة معرضين اذ كنا نطلع على جريدة البلاغ اليومية التي يكتب العقاد فيها ويعلم الله ان أول ماتتخطاه منها مقالة العقاد فما كنا نقرأ له الا نادرا ونادرا جدا وجدا جدا،اذ نعتقد انه مأجور للسباب والمغالطة والنضح بما فيه على قاعدة قولهم ينبغى لكل كريم ان يتخذ له سفيها يسافه عنه — وقد أشرنا الى هذا المعنى من قبل — ولسنا نجهل ان ذلك هو أصل شهرة العقاد اذ يكتب كل يوم فى حوادث البلد و ينضح عن الوفد الذى بلغ من تمكنه فى الأمة أن قيل فيه : لو رشح الوفد حجرا لانتخبناه . فلو كان العقاد حجراً لكان من كل ذلك كاتباً شاعراً أديبا فيلسوفا جبار ذهن !! ولا تسأل بماذا هو كاتب شاعر أديب فيلسوف جبار ذهن . ولكن سل بقوة ماذا ؟

وفى بلادنا هذه قد يبلغ رجل عند قوم درجة قريبة من الغبوة لا بوحى يوحى ولا بعلم لدنى ولكن . . ولكن بعمامة خضراء وحمراء مثلها كثير فى حوانيت الأقمشة،لولا أنها على رأس دجال أستاذ فى أساليب الشعوذة . وعمامة العقاد هى مقالاته السياسية ولا ريب

فالرجل كاتب سياسى كبير فى رأى رجال الشوارع اذ يرون اسمه كل يوم فى أذيال مقالات الحوادث أى ببرهان كبرها ان قولهم : عنزة ولو طارت . . . أما فى رأى رجال الوفد أنفسهم فما نظنه يعدو عندهم معنى لمعنى عربة الكنس لأقذار السفاهة التى يتلقاهم بها خصومهم السياسيون . وقد انقلبت هذه العربة مرة على صاحب جريدة البلاغ نفسه فبلغ من وقاحة العقاد أن يشتم صاحب الجريدة فى وجهه وفى ادارته . وكان هذا من أسباب طرده فيما نقلت جريدة الاخبار

كنا نتجاوز مقالات العقاد السياسية ولا نقرؤها فانه فى رأينا يحتاج الى أن يعود ذرة من الذر فى عالم الأصلاب و ينقل الى سلسلة جدود عظام كرام ثم يخلق ثم ينشأ ثم ينبغ ثم لعله بذلك يكون كاتبا سياسيا وطنيا قريباً من درجة المرحوم أمين بك الرافعى الذى كنا نقرأ كل حرف يكتبه فى مقالاته . ولكن بعد أن

نبهنا ذلك الاديب أخذنا نتتبع مقالات العقاد التى يكتبها الان فى جريدة مصر فاذا هى تافهة لا طعم لها فى كثير منها وقد يتكلم المتكلم أبلغ منها وأحكم ولكن الحق حق فان العقاد يجيد اجادة حسنة فى فرع واحد من الكتابة وهو يجرى فيه اللؤم والحقد وما يكون بسبيل من الدناءة وسقوط الكرامة حتى ليخيل الينا أن هذا الرجل ينطوى من نفسه على مكتبة فى هذه المعانى اجزاؤها طباعه وتجاربه وساوسه وحوادثه وآماله فهو حين يكتب فى ذلك لايكتب ولا يؤلف وانما يقوم من نفسه مقام المستملى لاغير .

قرأنا له فى عدد يوم ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٢٩ مقالا بديعا عنوانه «سماهم — دراسة نفسيه» يرمى بها الاحرار الدستوريين، وقرأناها فوالله ماخرجنا منها الا بأنها أبلغ وصف من قلم العقاد للعقاد نفسه لالاحرار الدستوريين ولالغيرهم. وانظر كيف يبدع الوصف فى قوله : رأيت اختلافا فى الصور والملامح ولكنى لاأخطىء أن أرى فيهم جميعا علامة واحده مشتركة بين افرادهم المختلفين وهى (تأمل) علامة الرضى عن النفس والاغترار البليد المطبوع . فهذا مسدود الخلقة تتراءى على وجهه الحيوانية الكثيفة ويتمثل فيه شكل لوصحفته قليلا لخرج منه خنزير أو حمار (أوعقاد!!!) "١" ولكنه هو فيما بينه وبين نفسه لايرى وراء مطالبه مطلبا ولا وراء احساسه بالدنيا موضعا لاحساس (يعنى مثل العقاد) . وهذا أنيق معجب بذاته فرح بما فى رأسه فجمع الرأى على الاستهزاء بكل مايعدوه والاستخفاف بكل مالا يروقه (مثل العقاد) الى ان يقول : وهؤلاء وغيرهم يختلفون كما رأيت فى مظاهر الصور والاخلاق ولكنهم فى القرار العميق مبتلون بعاهة واحدة هى (الرضى عن النفس) والانحصار فيها وموت كل احساس بالايثار وكل عاطفة من عواطف السماحة التى تسمى بالعواطف الغيرية تمييزا لها من عواطف الانانية التى تدور حول الذات ومايتعلق بالذات. انتهى!!

هذه صفات العقاد بالذات وهى أخص ماعرف العارفون من خصائصه وكنا

---

(١) جاء هذا المعنى فى كتاب رسائل الاحزان فى فلسفة الجمال والحب الذى صدر فى سنة ١٩٢٤ وكتب العقاد عنه فى البلاغ انه (كتاب نفيس فى الادب ارق من النسيم وأعذب من الماء) ثم انقلب عليه بعد أيام من لؤمه وحقده. وقد سرق العقاد هذا المعنى واستعمله فى كتابته مرارا

والله نود لو نقلنا هذه المقالة بحروفها ولكنك تتبين من تعرفه من وجهه وتلك النبذة التي نقلناها هي كالجلدة على الوجه الاخلاقي لذلك المغرور المبتلى بعاهة الرضى عن النفس والانحصار فيها وموت كل احساس الخ الخ

ومن المضحكات ان اديبا كلفته (المجلة الشهرية) التي كانت تصدر في القاهرة من سنوات، كتابة مقال ثم ارسلت اليه مسودة الطبع ليصححها فاذا فيها ورقة مندسة واذا هذه الورقة كتاب من (عباس محمود العقاد) أرسله خطه لمحرر المجلة يقول فيه اندمج البروفة «وارجو ان تضع مقالي في مكان مناسب لاني لا أرى نفسي أقل من أي أديب في هذا البلد» هكذا هكذا . ولكن يظهر ان كلام العقاد يكبر سنة بعد سنة فلم يكن «أقل من أي أديب في هذا البلد» سنة ١٩٢٤ ثم كبرت الكلمة فصارت في سنة ٢٩ أنه «أكبر من أي أديب في هذا البلد» وسيكتب بعد حين كما كتب نيتشة في كتابه الاخير Ecce Homo أي «أنا هو» وجعل فصوله هكذا : لماذا أنا عاقل لهذا الحد ، لماذا أنا نشيط الى هذه الدرجة ، لماذا أكتب هذه الكتب الممتعة ، أنا اعظم كتاب المانيا ، ان قراءة كتاب من كتبي لاعظم شرف يظفر به انسان ، الخ والعقاد يقول مثل هذا الآن ولكنه لا يكتبه ، فاذا طمست البقية الباقية من بصيرته كتبه ولو تقليدا لنيتشة

نعود الآن الى استيفاء نقد قصيدة (الخمرة الالهية) إجابة لطلب ذلك الأديب وتوفية لما مر بك في السفود الرابع

قال عباس محمود العقاد المشهور بصاحب مرحاضه :

تشابه في عين النديم وما انتشى فوارغ صف كالثريا ومالاه
كؤوس كجام السحر يكشف وحيه ليعنيك من سر العوالم أخفاه

ومفسر جام السحر في الشرح بقوله : هي الكأس التي يزعم السحرة أن من نظر اليها انكشف عنه الحجاب »

فاما البيت الأول فسخيف بالغ في السخف لانه يريد ان النديم من نظر الكؤوس سكر فتشابه عليه ما امتلأ وما فرغ . وهذا بعينه قول ابن الفارض :

ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم

وكلمة (فوارغ صف) من لغة الشيالين والحمالين لا من لغة الادباء ، ولا ندري كيف تذكر في وصف الخمر ، الا اذا كانت من ذوق عامي كذوق العقاد . وانظر

كيف صنع الشاعر الحقيقى حين أراد أن يأتى بهذه المادة فى شعره فقال واصفا الخمر وصفاءها حتى كأنها الكأس :

خفيت على شرابها فكأنما يجدون ريا من إناء فارغ

وهذا المعنى مولد من قول أبى تمام

تخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

وقد تلاعب الشعراء ، وأكثروا فيه على صور مختلفة ولكن أحسن ما قيل فى الاشتباه على النديم من تأثير الخمر قول القائل

فكل شىء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقى

ونظن أن ابن الفارض أخذ من ابن الزيات فى قوله

كفانى من ذوقها شمها فرحت أجر ثياب الثمل

فنقله ابن الفارض من الشم الى النظر وسرق العقاد سرقة عمياء لا نظر فيها ... ثم إن الثريا بمجموعة نجوم ملتمعة يخطف بريقها ، فلا يمكن أن تشبه بالكؤوس الفارغة . ومع أن العقاد سرق هذا التشبيه نفسه من ابن المعتز ، فانه فى هذه أيضا أعمى . فابن المعتز يصف لك الثريا كأنها هى هى بلونها ونجومها واشتعالها فى قوله

وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

فهذا لعمرك هو التشبيه لا (فوارغ صف) ولعنة الله على هذه السوقية المبتذلة . أهى كؤوس أم زكايب فوارغ ... ؟

وأما البيت الثانى من بيتى العقاد فمعناه سخيف لان الخمر لا تظهر شيئا من سر العوامل فضلا عمن اخفى أسرار العوالم انما تظهر سر صاحبها وفى ذلك يتلطف مسلم ابن الوليد بقوله :

بعثت الى سر الضمير فجاءها سلسا على هذر اللسان مقولا

ومثله كثير فى الشعر . فان أريد وحى الخمر وتأثيرها فى الذهن والقريحة فافضل مافى هذا المعنى قول شاعر الفرس : شربنا الكأس فجرت الحقيقة التى كانت فيها على ألسنتنا . ويقول صاحب مرحاضه :

شربنا وغنينا وما فى عدادنا سوى شارب قد باع بالخمر دنياه

يعنى كلهم سكارى . واذا كانوا سكارى فما هى الدنيا عندهم الا الخمر . فكيف اذن

يبيعون بها الدنيا ؟ اظن هذا المتشاعر انما يريد معنى العامة فى قولهم : باع دينه بالخمرة وهذا كلام مستقيم ينطبق على السكير لان الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد الى حقيقة المعنى لانهم يجعلون شعار الحشاشين والسكيرين هذه الكلمة : « عمار يا دنيا خراب يا مخ » فكيف اذن بيعت الدنيا بالخمر ولا دنيا الا فيها عند اهلها ؟ لعله يريد اسباب المعايش كالتجارة والصناعة ونحوهما فتركوها واقتصروا على الخمرة. فاذا كان هذا معناه وقصده فهم حثالة الناس ورذالتهم الذين لا قيمة لهم ولا منزلة كبعض سفلة العامة فى بعض الحانات التى يراها من يمر فى شارع كلوت بك . . .

إن مجلس الشراب لاشعر فيه بعد الخمر الا من الجمال والاخلاق العالية التى لا تكون فيمن باعوا دنياهم بالخمر كما يقول النواس

لا يطيب الشراب الا لقوم جعلوا نقلهم عليه الوقارا
لا كقوم فى ضجة وصياح كنهيق الحمار لاقى الحمارا

فهؤلاء الآخرون هم صحب العقاد فى خمرته « شربوا وغنوا » يعنى ضجوا وصاحوا كنهيق الحمار لاقى الحمار . . . .

ثم يقول صاحب مرحاضه :

اذا طاب فى الفردوس ريا نسيمها فأطيب فى دار الشقاوة رياه

كان لا يصح هذا القياس لو أن الدارين (الفردوس ودار الشقاوة) تقاس احداهما على الأخرى فأما وهما نقيضان فلا وجه لقياسهما ولا للقياس بما فيهما .

وهذا البيت من الادلة على جهل العقاد بالمنطق سليقة وعلماً وبيانا ، والذين يعرفونه معرفة المخالطة والمحادثة يعرفون منه الجهل بكل علوم العربية . وانما هو رجل يحترف الصحافة فهو مضطر أن يقرأ وأن يكتب قدر ماهو مضطر ان يأكل وان يشرب فأصبح الكلام له كالعادة . فمن لم يعرف هذا منه ظنه عالما اواديبا اوجبار ذهن . . . والحقيقة انه ثرثار سباب لص أدب وكتابة، لسانه اطول من عقله وعقله يجىء من انجلترا كلما جاءت مجلة او كتاب . . .

ان بيت (صاحب مرحاضه) قياس ذوطرفين ليس للثانى منهما معنى الاول فى نفسه فخمر الفردوس ليست من خمر دار الشقاوة اذ هي لاتغول العقل ولا تدفع الى الاثم ولاتسقط المروءة ولاتذهب بالوعى الخ الخ . فلا يدل طرفا القياس دلالة واحدة

فمن ثم لايصح من جهة الثانى مايصح من جهة الاول فلا تكون النتيجة التى ينتقل اليها الفكر الافاسدة،ويصبح تركيب هذا المنطق كقولك : اذا كانت الحياة فى الفردوس خالدة فهى فى دار الشقاوة خالدة !!! واين حياة من حياة،واين دار من دار،واين العقاد من المنطق ؟ انظر قول ابن الفارض فى اصل هذا المعنى .

وعندى منها نشوة قبل نشأتى * معي ابدا تبقى وان بلى العظم

فهو قد جعل النشوة التى هى سرور الخمر آتية معه من دار النعيم فهى خالدة فيه وهى بذلك خالدة به ما بقيت منه ذرة على الأرض بعد موته وبليت اعظمه . لان ذرات الجسم لاتتلاشى وانما تتحول . فاذا كان ذلك مبلغ النشوة حتى فى الذرة منه بعد الموت والبلى،فكيف بها فى جسمه حيا يحس و يشعر ؟

هذا وابيك الشعر لاهراء صاحب مرحاضه وتلك هى الخمرة الالهية لاخمرة حلس الحانه الذى يشهد على نفسه وصحبه بانه « مافى عدادهم الا فتى باع بالخمر دنياه» فهم كما قال اخوهم من عبد الله بن جدعان

شربت الخمر حتى قال صحبى * ألست عن السفاه !!! بمستفيق ؟
وحتى ماأوسد فى مبيت * انام به سوى الترب السحيق
وحتي أغلق الحانوت رهنى * وآنست الهوان من الصديق

هذه هى صفات الذين باعوا بالخمر دنياهم لايفيقون من السفاه ولايتوسدون فى نومهم الا (كوم تراب) وبلغة هذا الزمان «تلتوار !!! »

ثم فى بيت العقاد غلطة اخرى فقد ادخل فاء الشرط على الخبر المقدم فى غير موضعه وأخر المبتدأ فاصبح كلامه كقولك .اذا كان زيد كريما فأكرم ابوه وانت تعنى فأبوه اكرم،و هذا فاسد كما ترى ولا تجيزه ضرورة الشعر بل لو أجازته من جهة العربية على أضعف الوجوه لكانت من جهة البيان إعلانا عن جهل الشاعر وضعفه وتهافته (١)

---

(١) لايجوز تقديم الخبر فى مثل هذا التركيب حتى يصح دخول الفاء الرابطة للجواب عليه لان هذا التقديم يؤدى الى رجحان عمل آخر يبطل عمل المبتدا فى خبره و يجعل الخبر هو العامل فى المبتدأ وتكون كلمة (رياه) كأنها فاعل (لأطيب) و بذلك يحتاج الكلام لتأويل وتعليل وحشو من هنا ومن هناك حتى يستقيم الجواب

ويقول صاحب مرحاضه :

ولو مزجوا بالخمر طينة آدم لعاش ولم يدر القطوب محياه

نعوذ بالله وبالله نعوذ . لمن ترجع هذه الواو فى قول هذا الرقيع (مزجوا) ، وهل خلقت آدم فى رأى العقاد جمعية آلهية فيعود عليهم ضمير الجمع أم صنع آدم فى معمل كيماوى ؟ وهل تريد دليلا على ضعف العقاد فى العربية أقوى من هذا البيت وهو كان يستطيع ان يبنى الفعل للمجهول فيقول (ولو مزجت) الخ وهل نسى الرقيع أنه يقول فى (الخمر الآلهية) ؟ أفمن الآلهية أن يعترض على الآله ويعتبر الخلق والايجاد صناعة كالصناعات يقال فيها « لو » لان فيها مكاناً للتحسين ومكاناً للاتقان ومكاناً للزيادة ولانها صورة النقص الانسانى فى جانب الكمال الذى يغمره ولا يزال من فوقه فى كل ما كمل الانسان فيه ؟

ولكن الغراب أراد أن يقلد الطاووس وأراد العقاد أن يقلد ابن الفارض ، ولابن الفارض قدس الله سره أبيات كثيرة فى « لو » هذه مر بعضها ومنها .

ولو نضحوا بها ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ولو طرحوا فى فيء حائط كرمها عليلا وقد أشفى لفارقه السقم

ولو قربوا من حانها مقعدا ومشى وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم

ولو نال فدم القوم لثم فدامها لاكسبه معنى شمائلها اللثم

ويرتبط بالشرط وكل ذلك فى غير شىء لان بيت (المراحيض) ليس من ابيات الشواهد فى النحو . . . . ولا هو من العرب الامين الذى كانوا يقولون الشعر ارتجالا اوعلى البديهة او توجههم فيه طبيعتهم اللغوية باسباب يخالفون بها الخ الخ . وقد قال ابن فارس : مارأينا اميرا اوذا شوكة أكرم شاعرا على ارتكاب ضرورة فاما ان يأتى بشعر سالم اولا يعمل شيئا .

والضرورة من مثل العقاد لاتسمى ضرورة لانعدام أسبابها التى أجازتها للعرب وانما هى عجز عن التركيب الاصح والاقوى فهى فى باب الضعف والغلط لافى باب التأويل والتخريج

تأمل هذا الغور الشعرى وانظر كيف يضيء الكلام كأن فيه بقايا من روح قائله ثم اخرج من هذا الافق الى قول العقاد « ولو مزجرا بالخمر طينة آدم !!!! » فانك من هذه الكلمة ستقع فى أشد ظلام من نفس جاحدة لئيمة وأصعب التواء من صدر حقود ضيق

وما بيت العقاد الا توليد سخيف من البيت الاول لابن الفارض فغير (ثرى قبر ميت) بطينة آدم « ولو نضحوا » بلو مزجوا (ولعادت اليه الروح) بعاش (وانتعش الجسم)بقوله السخيف(لم يدر القطوب محياه) كأن الوجه يدرى ولا يدرى !! وكأن القطوب علم. ومن أقبح ماوقع فيه هذا المغرور أن يقيس على قول ابن الفارض (ولو نضحوا) فيقول ولو مزجوا ثم لا يتنبه الى أنه بهذا قد خرج الى الاحالة ووقع فى الكفر وجاء بما لا يفهم أحد ، كأن همه كل هم منصرف الى السرقة بلا فكر ولا فهم وهو مستيقن أنه بهذه الشعوذة يصبح جبار ذهن عند المغفلين من أمثاله وقال صاحب مرحاضه .

اذا رسب القلب الحزين طفت به فيسمو الى حيث السعادة تلقاه

تأمل يا هذا سخف هذا التركيب وقل فى أى شيء يرسب القلب الحزين حتى تطفو هى به فيسمو الى حيث . . . الى حيث يا عقاد قبحك الله وقبح شعرك البارد الركيك . هل فى البيت اكثر من أن الخمر تذهب حزن الحزين ؟ والباقى له حشو ولغو! وهو يخبر بذلك كما يخبرك به كل عامى لا يزيد العقاد عليهم الا الوزن .

ألا تضرب هذا البيت بالنعل حين تقرأ قول الافريقى المتيم

وفتية أدباء ما علمتهمو شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا

فروا الى الراح من خطب يلم بهم فما درت نوب الأيام أين همو ؟

هكذا فليقل من يقول والا فليسكت ولكن بأى شيء يصير الأحمق أحمقاً ؟

والتجديد عند العقاد وأمثاله هو ستر عجزهم عن مثل هذه الصناعة البيانية التى تحتاج الى طبع وقوة وذوق وخيال ، فهو كقانون تأجيل الدفع (الموراتوريوم) فيه من عذر التشريع لبعض الناس قدر مافى هذا البعض من عذر الافلاس . . . .

ويقول صاحب مرحاضه :

اذا نزل الندمان فى ملكوتها تلاقوا فلا ذل هناك ولا جاه
كأن الطلى بحر فمن خاض لجه تعرى فلا جند تماز ولا شاه

كتب الطلى بالياء وهى بالألف . وحاصل البيتين أوالخرابتين ! ! ! أن الخمر تساوى بين شرابها من ملك وسوقة كالبحر متى نزله الجميع تعروا . وهذا معنى مطروق مبتذل وهو متداول بين الحشاشين على الخصوص فعندهم ان لا سلطان الا (الكيف) . ومن ذلك قول المأمون : مجلس الشراب يستوى فيه الكبير والصغير والرفيع والوضيع والحر والعبد،وهو بساط يطوى بما عليه .

تأمل يارعاك الله قوله (بساط يطوى بما عليه) فانها بالعقاد وشعره وما قال وماسيقول وهى حقيقةأن تكون كلمة ملك اذا قابلتها بقول صاحب مرحاضه (بحر يتعرى فيه الجميع) فان هذه كلمة خفير من خفراء مجلس بلدى اسكندرية الذين يقيمهم على الشاطىء .

ويقول (تلاقوا) أفليس كل من نزلوا فى مكان واحد تلاقوا وهل تلاقى الخادم وسيده فى مكان يجعلهما فى درجة واحدة ؟ أرأيت أقبح من هذا عجزا فى العربية وهو لو قال (تساووا) لاستقام المعنى .

وقوله (ولا شاه) مضحكة ولعلها أبرد قافية فى الشعر العربى على الاطلاق وأسخف ما فى القديم والجديد جميعا لانالسنا فى زمن الشاه ولا شاهنشاه .

أما والله لقد سئمنا فلنوجز فى الابيات الباقية . قال صاحب مرحاضه :

اذا أعوز الناس البراق فانها براق الى عرش الجلالة مرقاه

أيرتقى الشارب بالخمر الى عرش الله كما ارتقت الانبياء بالبراق ؟ وهل ارتفع البراق الى العرش نفسه ؟ وهل سواء مراتب النبوة ومراتب (الناس) ؟ كل هذه اسئلة لا توجه لمثل هذا اللص الرقيع فان اللص لو لم يكن عند نفسه فوق السؤال والجواب لما سرق ولا أثم . ولكن من أين خطر للعقاد تشبيه الخمر بالبراق فى العروج الى السماء ؟

من قول ابن الرومى إذ يقول :

يا لها ليلة قضينا بها حا جا وان علقت قلوبا بحاج
رفعتنا السعود فيها الى الفو ز فكانت كليلة المعراج

خطر لهذا السخيف (المراحيضى) (١) أن يجعل مكان (السعود) الكؤوس فصارت الكأس براقا ولا جرم ، ولعل اللص الأعمى خير من اللص الأعور ،لان كليهما لابدأن يقع ولكن نصف نظر الثانى يضاعف عليه إثم الأول. وتوليد العقاد دائما نصف ميت كما رأيت لانه نصف شاعر ونصف أديب واذا بلغ الرجل من سخف التوليد أن يشبه الخمر بغرس الأنبياء فقل إنه نصف أعمى

وقال المراحيضى

عجبت لدن لا يخف بروحها كما خف بالمنطاد روح تولاه

روح يعنى غاز وتولاه يعنى تمدد فيه . فههنا انقلبت الخمرة الآلهية فى شعر هذا المراحيضى غازا كان ينبغي أن يطير بالدنان ويمثل على مسرح الجو هذه الحماقة القائمة براس العقاد وخياله . وهذا أيضا توليد نصف ميت من قول الأندلسى وهو معنى غريب بديع .

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالأرواح

جعل الزجاجات الفارغة ثقيلة كجسم الميت حتى اذا ملئت بالخمر خفت كجسم الحي . ومتى عرفت أن الحى اذا مات ثقل جسمه أدركت جمال هذا المعنى وإبداعه الى الغاية،ورأيت فيه حقيقة الشعر الحى لا كذلك الشعر الذى يريد أن يجعل (الخابية) منطادا ويلقى فى الخمر طعم الغاز والبنزين

وقد ولد ابن نباتة من معنى الأندلسى فى قوله :

وكاسات أشد يدى عليها مخافة أن تطير من المراح

فجاء شاعر آخر وأخذ من ابن نباتة وأبدع ما شاء فى قوله :

مشعشعة تكاد من القنانى تطير بما حوته من المراح

وهذا الشاعر هو وابن نباتة كلاهما من متوسطى الشعراء وكلاهما مع ذلك أشعر من المراحيضى كما ترى

وقال صاحب مرحاضه

---

(١) هذه النسبة أخف من (صاحب مرحاضه) فلا مانع أن تحل محلها فيقال فى التاريخ : عباس محمود العقاد الشاعر الملقب بالمراحيضى . . . . . .

وكيف حواها الكوب والكوب جامد يدور فلا يهتز فى الكف عطفاه لابأس أن يكون للكوب عطفان ويدان ورجلان أيضا !!! ولكن اذا اهتز فى الكف عطفاه اندلق مافيه فكان يحسن بالعقاد ان يجعله يدور حول نفسه فوق الكف كما تدور (نحلة) الصبيان التى يجرونها بالخيط فتدور على سنها ثم يضعونها على أكفهم وهى دائرة . . . والمعنى الدقيق فى هذا البيت ان العقاد عجب للدن كيف لا يطير بما فيه ، ولما كانت الكأس لا تسع الا قليلا مما فى الدن كان طبيعيا أن لايكون فى هذا القليل من القوة الا مايكفى لهز الكأس دون حملها وطيرانها !!! هذا كثير على ذكاء العقاد ولكن فاته ان نسبة مافى الدن الى وزن الدن لايكون الا كنسبة مافى الكأس الى وزن الكأس . واذن كان يجب أن تطير هى أيضا اذا صح معنى البيت الاول

وانظر اين معنى المراحيضى وصناعته من قول ابن نباتة يصف الخمر والكأس

مصونة تجعل الاسرار ظاهرة وجنة تتلقى العين باللهب

خفت فلو لم تدرها كف حاملها دارت بلا حامل فى مجلس الطرب

ألايغور هذا العقاد الآن وهو يرى كل شعر أوردناه كأنما يبصق فى وجه شعره ؟

وختام قصيدة المراحيضى قوله

تغنوا بما شاؤوا وغنيت بالطلى وكل يغنى فى الانام بليلاه

وكتب الطلى بالياء ايضا وهى بالالف لاغير اذ هى بالياء معناها الرقاب . والسرقة فى هذا البيت ظاهرة معروفة من قولهم (كل يغنى على ليلاه) ولكن يبقى ان التى انقلبت فرسا أى (براقا) من قبل انقلبت امرأة اسمها (ليلى) . . . . ألا يغور العقاد الآن والقراء جميعا يبصقون على شعره ؟